د. موسى بن موسى
أ. محمد العايب
المؤسسة : جامعة الوادي

عنوان المقال: إيالة الجزائروالجزائريون، أحوالهم، معاملاتهم، وعلاقتهم بالسلطة في النصف الأول من القرن 18م في نظر الرحالة الأوربيين (ج. ا. هابنتسرايت أنموذجا)

البريد الالكتروني: aboutahab@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/03/04 تاريخ القبول: 2020/03/22 تاريخ النشر: 2020/03/31

إيالة الجزائروالجزائريون، أحوالهم، معاملاتهم، وعلاقتهم بالسلطة في النصف الأول من القرن 18م في نظر الرحالة الأوربي (ج. ا. هابنتسرايت أنموذجا).

الملخص :

تميزت أيالة الجزائر خلال القرن 18م باستمرار حكم الدايات وبكثرة الحملات الأوربية ضدها، وبنوع من الاستقلالية عن الدولة العثمانية ابتداء من سنة 1710م، وجل هذه المعطيات مستخلصة من رحلات الأوربيين الذين دونوا مذكراتهم بدقة، وإن اختلفوا في الغاية من زيارة الجزائر إلا أنهم اشتركوا في إثراء التاريخ الجزائري في العصر الحديث بنقل صورة عن هذه الأيالة، ومن بين هؤلاء الرحالة ج. أو. هابنتسرايت، الذي زار الجزائر سنة 1732م وكتب رسائل إلى الملك " أغسطس الثاني " ملك بولونيا ، الذي كلفه بهذه الرحلة يصف له فيها مشاهداته وانطباعاته عن الجزائر والجزائريين وعلاقتهم بحكامهم الأتراك، كما وصف عاداتهم وتقاليدهم وطبيعة البلاد وبعض مدنها والآثار التي شاهدها أثناء رحلته الشيقة.

الكلمات المفتاحية : الجزائر، الرحلة ، الرحالة الأوربيون ، الطبيب ، السلطة العثمانية ، الأهالي ، المجتمع.

Summary of English :

During the 18 th century, Algeria was characterized by the continued rule of daiyat and the great number of European campaigns against it and some independence from the Ottoman Empire from 1710. Most of these data are derived from the trips of Europeans who wrote their memoirs accurately, although they differed in the purpose of visiting Algeria, Algerian in the modern era to convey a picture of this loan, and among these travelers c. or. Who visited Algeria in 1732 and wrote letters to the king august II , Who charged him with this trip, describing his observations and impressions of Algeria and the Algerians and their relations with their Turkish rulers.

key words : Algeria, t European Travelers, he journey, the doctor, Ottoman power, Parents, the society.

مقدمة :

تعتبر الرحلات العلمية والاستكشافية التي قام بها الأوربيون إلى الجزائر في العصر الحديث، من أهم المصادر للتعرف على تاريخ الحكم العثماني، والعلاقة بين السلطة والأهالي ومكانة الجزائر في محيطها المغاربي والمتوسطي، وإن كانت هذه الرحلات في شكلها العام لا تستند إلى المنهجية العلمية في الكتابة والتأليف، غير أنها بالمقابل تزخر بالمادة العلمية والتاريخية، التي هي ضالة الباحث والطالب على حد سواء، بالنظر إلى قلة المصادر العربية والعثمانية لتلك الفترة المهمة من تاريخ بلادنا، ومن بين هذه الرحلات رحلة العالم الألماني جوهان ارنست هابنتسرايت **Johann Ernst Hebenstreit** ، التي زار فيها بلدان شمال إفريقيا سنة 1732م، حيث دوّن مشاهداته في رسائل إلى ملكِه في شكل مذكرات يومية، اتخذت صفة الارتجال أحيانا وعدم التقيد بمنهجية محددة في التدوين، فالرحالة ينتقل في سرده للأحداث من الجانب العسكري إلى السياسي إلى الديني إلى العادات والتقاليد، ومنها إلى الجانب التاريخي والآثار وعلم النبات والحيوان في رسالة واحدة، وهو ما

يدل على عدم تخصصه في التأليف والكتابة. إنما هو رحالة محب للاكتشاف والآثار والطبيعة.

ومهما يكن من أمر، فإن القيمة التاريخية لهذه الرحلة بالغة الأهمية، وهي تصف أحوال الجزائر في الثلث الأخير من تاريخها العثماني، وما يتضمنه من استقلالية في اتخاذ القرار وحروب مستمرة مع الإسبان وفتن وقلاقل داخلية لا تكاد تنتهي، وما ميزه كذلك من سيطرة المكوّن التركي على السلطة والجيش، وما يعانيه الأهالي من فاقة وتهميش، وصولا إلى حالة التخلف العامة التي عرفتها الأيالة، خاصة في العلوم والطب وغيرها من المجالات.

فكيف كانت العلاقة بين السلطة الحاكمة الممثلة في الأتراك والشعب الممثل في بقية مكوناته من عرب وأمازيغ وكراغلة وعبيد وغيرهم ؟

ماهي مظاهر الحياة الإجتماعية في الجزائر خلال فترة زيارة الرحالة لها ؟

كيف كانت الأوضاع السياسية والإقتصادية للأيالة ؟ وماهي عوامل القوة والضعف فيها ؟

ما ابرز الملاحظات والاستنتاجات التي عاد بها الرحالة إلى أوربا في الجانب العلمي الاستكشافي الذي هو مقصد الرحلة ؟

أولا : شخصية جوهان ارنست هابنتسر ايت Johann Ernst Hebenstreit :

هو العالم والطبيب الألماني جوهان ارنست هابنسترايت Johann Ernst Hebenstreit ولد يوم 15 جانفي 1703م في " نوشتادت أون أورلا " الواقعة في مقاطعة الساكس في الممالك الجرمانية، درس الطب في شبابه في جامعة إيينا، ثم استقر في مدينة " لايبزيغ " شرق ألمانيا الحالية ، اشتغل عند احد التجار الأغنياء بالمدينة وأُوكِلت له مهمة العناية بالنباتات النادرة، مما ساعده على مواصلة دراسته والحصول على مؤهل علمي مكنه من ممارسة مهنة الطب، وقد عرف في مدينته بحب العمل والانضباط، مما جعله يحظى بثقة ملك بولونيا ومنتخب منطقة الساكس لتولي عرش الامبراطورية الجرمانية المقدسة " أغسطس الثاني " المعروف بـ " القوي " [1] ، الذي كان محبا للعلوم وشغوفا

بالاكتشاف، حيث كلفه بالقيام برحلة إلى شمال إفريقيا للتعرف على نباتات المنطقة وحيواناتها، وجمع عينات منها، لتكون من مقتنيات القصر الملكي. فقام ج. أ. هابنسترايت بهذه الرحلة سنة 1732م رفقة فريق عمل من بينهم الطبيب توماس شو[2] thomas show ، وتعرف في رحلته هذه على سكان المنطقة وحكامها، وعاداتها وطبيعتها وآثارها، ولم يترك فرصة تقربه من مبتغاه إلا قام باستغلالها، وكان أثناء ذلك يرسل إلى ملكه المذكور برسائل يطلعه فيها على ما شاهده، وعايشه في بلدان شمال إفريقيا، غير أنه لم يحظ بإكمال هذه الرحلة بسبب إبلاغه بنبأ وفاة الملك أغسطس الثاني ، الذي أرسله. وبالنظر إلى كفاءته وتعدد مواهبه حظي بثقة الملك الجديد " أغسطس الثالث "، الذي عينه أستاذا للطب في جامعة لايبزيغ، مما ساعده على نشر أبحاثه العلمية، وظل في منصبه إلى غاية اندلاع حرب السبع سنوات[3]، حيث شارك فيها كطبيب للجيش، فأصيب بحمى معدية أدت إلى وفاته يوم 5 ديسمبر 1757م .

ثانيا : التعريف بالرحلة :

ظلت رحلة ج. ا. هابنتسرايت حبيسة الأدراج ولم تظهر للقراء إلا بعد أكثر من 20 سنة من وفاته، ويرجع الفضل في ذلك إلى العالم الموسوعي بيرنويي (bernouilli) ، الذي اعتبرها ذات قيمة علمية كبيرة لما تحتويه من معلومات قيمة وملاحظات دقيقة، فقام بنشرها ضمن مجموعته المختصرة عن الرحلات التي تحمل عنوانها بالجرمانية ( ) sammlung kleiner reisen ، أي مجموعة الأسفار الصغيرة، التي أصدرها في كل من برلين ولايبزيغ ابتداء من سنة 1780م، واختار لها عنوان الحرف اللاتيني يقابله بالعربية : **قائمة أو جدول بالآثار الرومانية المكتشفة بإفريقيا الشمالية**، ثم قام الفرنسي المهتم بالرحلات ايريس Eyriés بنقل نصها الأصلي إلى الفرنسية ونشره في مجلة الحوليات الجديدة للرحلات والعلوم الجغرافية، حيث تم نشرها في العدد 46 سنة 1830م[4]، حيث قامت مكتبة " جيد وأبنائه " (Gide fils) بنشرها[5]. وقام الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني[6] بترجمة الرحلة للعربية سنة 2007م، كما قام بالتعليق عليها، وأضاف ملحقا لأهم الكتاب والرحالة

والأسرى الأوربيين الذين كتبوا حول بلدان شمال إفريقيا، وهي إضافة قيمة جدا للباحثين والطلبة.

تتألف الرحلة من أربع رسائل أرسل بها هابنتسرايت إلى الملك أغسطس الثاني، غير أننا سنكتف بثلاث منها، كون موضوع مقالنا عن رحلته إلى الجزائر ومشاهداته في ربوعها، فكانت الرحلة على النحو الآتي :

الرسالة الأولى : يسرد فيها الرحالة مغادرته مدينة " درسدن " يوم 23 أكتوبر 1731م ، وتوجهه إلى مدينة " مرسيليا " الفرنسية شهر نوفمبر الموالي من نفس السنة، ثم إبحاره نحو الجزائر يوم 24 جانفي 1732م، التي نزل بمينائها يوم 16 فيفري، حيث بدأ في تدوين مشاهداته الأولى عن مدينة الجزائر وعن الداي " كورد عبدي باشا "، الذي استقبله في قصره، فأورد ج. أ. هابنتسرايت معلومات عن تاريخ الجزائر وعن جغرافيتها و موقعها [7].

الرسالة الثانية : تحمل تاريخ 1 جوان 1732م، وهي تتضمن مشاهداته أثناء تنقله مع محلة الآغا ابن الداي في الداخل الجزائري؛ أي في دار السلطان[8] وبايلك التيطري[9]، كما وصف طبائع أهالي المدن التي مر بها مثل : مدينة مليانة والمدية، وسور الغزلان وبرج حمزة[10]، كما تطرق إلى المواقع الأثرية التي وجدها أثناء تنقله مع المحلة.[11]

الرسالة الثالثة : تحمل تاريخ 31 أوت 1732 م ويروي فيها ما شاهده أثناء رحلته من مدينة الجزائر إلى عنابة بحرا ثم منها إلى قسنطينة برا برفقة الفوج المرافق له وبمعية عدد من الحراس لخطورة المنطقة في تلك الفترة ثم توجه إلى القالة ومنها إلى مدينة طبرقة التونسية [12].

ثالثا : نظرة ج. ا. هابنتسرايت لإيالة الجزائروالجزائريين من خلال رحلته :

1 - موقف وردود فعل الجزائريين تجاه الأطباء الأوربيين :

نظر الجزائريون للأطباء الأوربيين نظرة احترام وتقدير بسبب أخلاقهم المهنية النبيلة التي يقومون بها، حيث يذكر ج. ا. هابنسترايت في كثير من المواضع برحلته، أن مهنته كطبيب جنبته العديد من المتاعب، وفتحت أمامه كثيرا من الأبواب والقلوب، خاصة وأنه كان لا يتقاضى أجرة مقابل عمله، حيث يقول : « وكانت أتعابي كطبيب في

المعالجات لا تتجاوز غالبا تقديم كاس من الماء البارد أو تناول قليلا من الحليب اللذيذ[13]. »، ويقول أيضا : « وأن مزاولتي لهذه المهنة بنجاح كانت من أجل الحفاظ على حياتي وليس من أجل كسب النقود[14]. »

ويتجلى لنا من خلال تصريح ج. ا. هابنسترايت أنه حظي باحترام الجزائريين ومودتهم لسببين : أولهما امتهانه التطبيب. وثانيهما معاملته الحسنة لمرضاه وعدم اخذ مقابل لذلك. وقد استند في إثبات تهافت الجزائريين على الأطباء الأوربيين إلى قول أحد القساوسة بمدينة عنابة : « ...أن سكان القالة كانوا يُقدّرون الأطباء الأوربيين الذين يتواجدون بالصدفة عندهم ، وأنهم بمجرد رؤيتهم لطبيب أوربي يتهافتون عليه لطلب الكشف عليهم حتى ولو كانوا أصحاء ، رغبة منهم في عدم تفويت الفرصة[15]. »

وهو الأمر الذي تأكد منه بنفسه عندما قام بزيارة " علي باي " شيخ المعزولة[16] برفقة الطبيب الجراح الخاص بحصن الباستيون[17]، حيث يقول في ذلك : « بمجرد أن علم الأهالي بذلك أحاطت بنا مجموعة كبيرة منهم وطلبوا منا أن نكشف عليهم، فذهبنا إلى خيمهم واحدا واحدا، ولكنهم كانوا كثيرين فوجدت نفسي مجبرا أنا أيضا أن أشارك الطبيب في عمليات الفحص، بعدما أفهمهم الطبيب أنني على نفس درجة كفاءته[18]. »، ومن خلال ما سبق يمكن أن يبين لنا سبب لجوء الجزائريين إلى الأطباء الأوربيين بصفة كبيرة، ناتج ضعف وانعدام اهتمام السلطة العثمانية الحاكمة بالحالة الصحية للسكان واعتماد أغلبهم على الطب الشعبي .

أردف ج. ا. هابنسترايت مبينا حالة الاحترام والتقدير التي حظي بها عند الأهالي قائلا : « أصبحنا محل تقدير لكوننا أجانب ولأننا نمتهن حرفة الطب أو التداوي بالأعشاب ، فقد اعتادوا على تسميتنا (الباربيرو) ومرد ذلك أنهم كانوا يروننا في اغلب الأحيان نحمل في أيدينا زهورا ونباتات[19]. ». وكلمة " باربيرو " هي : مفردة من لغة الفرانكا [20] ، ويقصد بها المشتغل بالطب أو المداوي بالأعشاب، وهي قريبة من كلمة حلاق[21].

2 - القضاء والأحكام العقابية في أيالة الجزائر:

نقل ج. ا. هابنسترايت ما شاهده من استقبال الداي للساكنة لعرض قضاياهم عليه، حيث ذكر بأنه في إمكان كل واحد من الرعية أن يعرض قضيته على الداي، وأشار

إلى أن كلمة (شرع الله) لها وزن كبير لدى السلطة والرعية، وأن كل فرد مهما علا شأنه يحصل على تطبيق حكم العدالة بمجرد النطق به[22]. وهذه الواقعة تدل على مدى التزام الداي وحكومته بأحكام الشرع الإسلامي، كما تدل أيضا على موضوعية الرحالة هابنسترايت واعترافه بوجود نوع من العدالة أثناء زيارته لمدينة الجزائر.

أضاف الرحالة أن محكمة الداي هي محكمة نهائية يلجأ إليها المتقاضون بعد مرورهم على محكمة القاضي الأولية، وعدم رضاهم عن الحكم الصادر عنه، وبالعودة إلى مشاهدته لمحكمة الداي ذكر أن المحاكمة لا تتطلب وقتا طويلا فهي لا تستغرق سوى ما يتطلبه حضور المتقاضين، وسماع الشهود وتقديم الشكوى، وأن تنفيذ الحكم يتم في اليوم نفسه، فإذا كان المذنب تركياً تتم معاقبته في سرية حفظا لكرامته بينما تنفذ الأحكام علانية على الحَضَر، وباقي طوائف السكان الآخرين عند باب عزون[23].

وفي معرض حديث ج. ا. هابنسترايت عن الأساليب العقابية التي كان الأتراك يسلطونها على الأهالي، أورد في أثناء تواجده في مواطن قبيلة " وامري " بإقليم بايلك التيطري، كيف شاهد معاقبة أحد أعيان العرب ضربا بالعصا بمجرد الاشتباه في سلوكه المناوئ للسلطة، حيث ذكر أن رجال القبائل قد يعاقبون بمائة ضربة عصا لمجرد عدم تقديمهم الزاد المطلوب منهم للمحلة عندما تحط رحالها بأرضهم[24]، وهو ما يسمى في التاريخ العثماني « ضيفة المحلة »[25].

3 - خزينة إيالة الجزائرومصادرإيراداتها :

من خلال وصف الرحالة ج. ا. هابنسترايت لخزينة الجزائر[26] نلاحظ أنه كسابقيه من الرحالة والقناصل الأوربيين الذين زاروا مدينة الجزائر يُقدّر أنها خزينة تحتوي على كوم هائل من الذهب والفضة في شكل نقود وأشياء ثمينة، وهذا الاستنتاج توصل إليه بناء على تأثره بما كتبه الأوربيون قبله عن خزينة الداي مثل : "هايدو[27]" و" بايسونال[28]" في السنة، وأن الجزء الأكبر من هذه المداخيل كان يودع في الخزينة الموجودة في مكان أمين لا يمكن البتة لأي شخص الدخول إليه سوى الخزناجي، واستدل على ذلك بأنه خلال مدة تواجده في مدينة الجزائر، تمكن البحارة الخواص من القدوم بأربعة غنائم تضم عددا من الأسرى بيعوا في المزاد العلني، كل بحسب سِنّه وقوته العضلية ومظهره الخارجي[29].

وذكر ج. ا. هابنسترايت أن تجارة الأسرى المسيحيين تعتبر أحد مصادر الدخل الرئيسية، وحدد قيمة الفدية لبعض الأسرى من العساكر الأوربيين كما يلي[30] :

الرتبة	الوظيفة	مبلغ الفدية (قرش)
القابودان	قائد السفينة	2500
المعاون	نائب القابودان	1500
صانع السفن	عامل	1500
الجراح	الطبيب	1500
البحار	أعمال بسيطة	1000

4 - عادات وتقاليد سكان إيالة الجزائر:

إن عادات وتقاليد سكان إيالة الجزائر برزت في رحلة ج. ا. هابنسترايت، حيث أشار إلى أنها عادات وتقاليد تحددها ضوابط الشريعة الاسلامية، فالمسلم الصالح يتوجب عليه حسن معاملة أصدقائه، كما يطلب منه أن يكون شديدا مع أعدائه رحيما بالمنهزمين[31]. وبالنسبة لعادات الجزائريين في معاملة نسائهن أشار إلى تشددهم في ستر المرأة وحجابها، حيث لا يسرن في الأزقة دون حجاب، بل وحتى منازلهن تكاد أشعة الشمس لاتصل إليها، وإذا ما سافرن على ظهور البغال يكن مختبئات في ستائر غريبة على حد وصفه، وقد سرد حادثة وقعت له مع أحد الأتراك من ذوي المكانة المتميزة، حيث قال : « ترجاني أحد الأتراك من ذوي المكانة المتميزة أن أعالج زوجته ، وعندما طلبت منه أن أرى المريضة أجابني من الأفضل أن تموت على أن يراها احد[32]. »

أما عن عادات الجزائريين في الاحتفالات بالمناسبات والأعياد فذكر أن الناس يتهافتون صبيحة يوم العيد لتهنئة الداي، ويكونون في أبهى حلتِهم، غير أن هذه المناسبة

السعيدة تكون أحيانا تعيسة لبعض الدايات، حيث يسهل الوصول إليهم واغتيالهم مستغلين كثرة الحاضرين والقرب من الداي، ويسرد لنا ج. ا. هابنسترايت حضوره رفقة القنصل الانكليزي لتقديم التهاني للداي، حيث وجدوه في لباسه الرسمي جالسا على جلد نمر في قاعة المجلس يحيط به أعضاء الديوان، وهم يتناولون وجبة الغذاء، وبعد الغداء يذهب الجميع للتفرج على مبارزة رسمية اعتاد الأتراك القيام بها، حيث يغطى المكان المخصص لذلك بالرمل ويتقدم المتصارعون واحدا بعد الآخر، والذي يطرح خصمه على ظهره يعتبر منتصرا، وهكذا دواليك حتى يتم تعيين الفائزين بالجائزة، وتكون هذه المبارزات مصحوبة بأنغام موسيقى الانكشارية، ولا تعد هذه المصارعة سوى واحدة من العاب كثيرة يقوم بها الجزائريون طيلة أيام العيد الثلاثة، غير أنها لم تثر إعجاب هابنسترايت لأنها حسب رأيه ألعاب بسيطة لا تثير الانتباه[33].

تلك المظاهر من البهجة والسرور شاهدها أيضا في عيد الأضحى، أوكما يطلق عليه وقتئذ "البيروم الكبير"، وبلغة الفرانكا عيد الخروف، حيث تقام منافسات المصارعة بين الجنود لتعيين أقوى الرجال في هذه الرياضة، بَيْد أن طريقة إنهاء المنازلة وتعيين الفائز اختلفت عما ذكره سابقا، وذلك بِلَيّ المصارع لرقبة منافسه وطرحه أرضا فيحظى بمرتبة المنتصرين على حد تعبيره[34].

5 - أوجه التباين بين الأسرى الأوربيين بإيالة الجزائر والأسرى الجزائريين بمرسيليا:

أثناء الحديث عن الأسرى قام ج. ا. هابنسترايت بمقارنة حالة الأسرى الجزائريين بمرسيليا، التي قدم منها وحالة الأسرى المسيحيين بشمال أفريقيا - وهو شاهد عيان على ذلك – أن الأسرى الجزائريين لا يستطيعون المشي إلا بشق الأنفس، نتيجة الأغلال الثقيلة التي كُبّلوا بها، بينما الأسرى المسيحيون في الجزائر يقضون نهارهم في حرية تامة مقابل دفعهم مبلغا ماليا كل شهر، ثم يطلب منهم في المساء التوجه إلى مقراتهم التي كانت مريحة بالنسبة إليهم[35]. ويضيف في ذات السياق قائلا : « والأسير المسيحي يستطيع أن يحصل على حكم عادل عن أية معاملة سيئة يتلقاها من سيده ...، في الوقت الذي يلاقي فيه البحارة الجزائريون عقابا مضاعفا عندما يقعون في أيدي أعدائهم الأوربيين[36]. »

6 - التزام الجزائريين بدينهم وحرية المعتقد للأجانب :

إن التزام الجزائريين بحدود الشرع الإسلامي أشار إليه ج. ا. هابنسترايت في أكثر من موضع، لكنه يقر بأن بعض الجزائريين يتعاطون للخمر، حيث ذكر أن منهم من يبالغ في الشرب حتى يفقد صوابه ويقترف جناية أو خصومة، وفي زيارته لمدينة البليدة في شهر أفريل 1732 م استقبلهم حاكم المدينة وقدم لهم الخمر ومسحوق الشمّة، ونصح غيره من الأوربيين عند عزمهم زيارة الجزائر بجلب كميات من الخمر والهدايا، وتقديمها للجزائريين لأنها ستفيدهم أيما إفادة على حد تعبيره [37]، وهذا يناقض قوله السابق حول التزام الجزائريين بأحكام دينهم !

في هذا الإطار أشار إلى تمتع الجميع دون استثناء في أيالة الجزائر بحرية المعتقد حيث يقول : « فالأجانب يُكْرمون والكل في وضعية تمكنهم من القيام بما يرغبون فيه[38]. »، ومن ثنايا هذا الانطباع ندرك أن الرحالة الألماني يعترف بالتسامح الذي كان يسود الأيالة حول حرية المعتقد سواء بالنسبة للأسرى المسيحيين، أو السكان اليهود. وهذا التسامح تشترك فيه السلطة الحاكمة والأهالي على حد سواء.

7 - نظرة ج. ا. هابنستر ايت للأهالي :

نعت الرحالة الألماني هابنسترايت البلاد الجزائرية بالبلاد المتوحشة، وهذا ما اقتبسناه من تعليق مترجم الرحلة الذي صحح هذه العبارة بعبارة (غير المتحضرة)[39]، وذلك أرجعه إلى سوء تعبير الكاتب الذي تناقض مع ذاته، حيث سبق له في مواضع مختلفة من رحلته أن أشاد بخصال الجزائريين الحميدة، بل وتعدى ذلك أن عاتب من سبقه من الرحالة الأوربيين على تحاملهم على الجزائريين، ووصف ذلك بعدم الموضوعية والأمانة في النقل من طرفهم.

لقد أشاد الرحالة كثيرا بكرم الضيافة لدى العرب على حد قوله ويقصد بهم سكان الريف أو البدو، حيث استضافه احدهم في طريقه إلى قسنطينة وأحس بمعيته بالاطمئنان والأمان ووافر الارتياح، حيث يقول في هذا الصدد : «... فإننا استطعنا النوم بأمان لأن حسن الضيافة إحدى خصال العرب ، فيسهرون جيدا على حراسة الأجانب ... وأثناء ذلك أحاط بنا جمهور من الناس الذين سرتهم رؤيتنا[40]. ». وبالمقابل يصف الأهالي

أحيانا بالأشقياء، حيث ذكر ذلك حينما تعرض مع مجموعته إلى الرمي بالحجارة من طرف سكان قسنطينة، وما ترتب عن تلك الحادثة من تدخل الحراس لحمايتهم باستعمال السلاح الناري، حيث تم القبض على احد المهاجمين من السكان وتعرض للعقاب الشديد فيقول في ذلك : «... فقد قام قائد المدينة بمعاقبة احد الأشقياء الذين تعرف عليهم الفارس المرافق لنا فضرب ضربا مبرحا بالعصا ولو لم نتدخل لصالحه لتسبب ذلك في هلاكه[41]. » .

وفي موضع أخر من رحلته أشار ج. ا. هابنسترايت إلى أن سكان الجزائر كانوا يحقدون على النصارى ويتحينون الفرصة السانحة للانتقام منهم وأوعز ذلك للحصار[42]، الذي كان يضربه الإسبان على مدينة الجزائر والخطر المحدق الذي كان يهدد الآيالة برمتها من جراء ذلك، وقد ذكر أنه اضطر ومن معه أن يصطحبوا حراسا من الفرسان لتأمين سفرهم من مدينة عنابة إلى قسنطينة[43].

أما عن تعامل الأهالي مع الآثار الرومانية ونحوها فقد ذكر أن الجزائريين كانوا يسعون دون هوادة إلى تدمير بقايا تلك الآثار خوفا من استعمال السلطة الحاكمة لحجارتها في بناء حصون تستخدمها في مراقبة القبائل العربية المحاذية للحدود الجنوبية لدار السلطان، كما حدث في العديد من الأماكن خلال السنوات السابقة لرحلته[44].

8 - نظرة ج. ا. هابنسترايت لحكام إيالة الجزائر:

وصف ج. ا. هابنسترايت الداي الذي تكرم عليه بمبلغ مالي معتبر عند اعتزامه مغادرة الجزائر بأنه احد القراصنة، مما يثبت النظرة الدونية من طرف الأوربيين لحكام الجزائر عل الرغم من المنصب السامي الذي يمثله الداي، غير أنه في موضع آخر يشيد بالحفاوة التي حظي بها عنده، والرسائل التي كتبها الداي إلى حكام قسنطينة وتونس وطرابلس قصد توصيتهم حول تسهيل مرور ج. ا. هابنسترايت ومرافقيه بأراضيهم[45].

وفي ذات الصدد تعجب ج. ا. هابنسترايت من تصرف الآغا ابن الداي " كرد عبدي "، الذي أراد أن يستبقيه ومرافقيه لبضعة أيام لسبب غريب وهو أنْ يرسم له صورة لحصانه، حتى يتمكن من ترويض المهرات بعرض صورة الحصان أمامها، أملا في أن تلد تلك المُهرات بعد رؤية هذه الصورة أحصنة لها نفس لون حصانه وخصائصه، وذكر أنه لم

يجد بُدا من الاستجابة لهذه الرغبة الغريبة تقديرا للحفاوة التي أظهرها الآغا ابن الداي له ولمرافقيه أثناء إقامتهم في مدينة الجزائر، وسفرهم بمعيته داخل إقليم دار السلطان[46].

9 - الأوضاع المعيشية بإيالة الجزائر:

أسهب ج. ا. هابنسترايت في وصف وضعية الجزائريين الاقتصادية والاجتماعية أثناء تنقله بمعية محلة الربيع التي كان يقودها آغا المحلة، والتي وصلت إلى نواحي مدينة البليدة في أواخر شهر افريل 1732م بأنها حالة بائسة وذكر بأن : « العربي من سكان الريف كان لا يملك سوى خيمة مُسْودة من اثر دخان الموقد، و قطيع ماشية وكمية من القمح الذي يحتفظ به في المطمورة، وبعض الأثاث البسيط البالي، وأنه يعتبر امتلاك سلاح ناري وكمية من البارود معه بمثابة شرف عظيم للعربي[47]. »

يرجع سبب هذا البؤس والعوز إلى جهل السكان، وكسلهم حسب تعبيره إذ أنهم لا يكلفون أنفسهم عناء إصلاح الأراضي الزراعية، وإنتاج ما يحتاجونه من أغذية، بل يكتفون بزراعة الأراضي الخصبة التي تدر عليهم إنتاجا وفيرا وبأقل جهد ممكن[48]، كما اعتبر هابنسترايت أن إقامة السكان في مساكن قارة يعتبر مجلبة للاحتقار، فهي بنظرهم مصدر الخضوع والعبودية للحاكم، وأنهم يعتبرون الترحال فخرا وحرية[49].

رابعا : الأوضاع الداخلية لإيالة الجزائر سنة 1732م وتفاني الجزائريين في الذود عن وطنهم :

1 – الأوضاع الداخلية سنة 1732م :

أورد الرحالة في مواضع عديدة وصف للحالة السياسية والأمنية، التي كانت تشهدها الإيالة اتسمت عموما بالاضطراب وسوء العلاقة بين السلطة الحاكمة، وسكان بعض المناطق وعلى سبيل المثال ذكر أنه خلال سفره من عنابة إلى قسنطينة مرَّ ومرافقوه بمناطق جبلية يحافظ سكانها على استقلالهم، وهم في حرب دائمة مع رجال البايلك[50].

وكان يلجأ مع رفاقه إلى شيوخ القبائل الخاضعة لسلطة البايلك، حيث يتمتعون عندهم بحسن الضيافة والترحاب بعد إظهار رسالة التوصية الممنوحة لهم من طرف حاكم المنطقة أو الجهة التي يتواجدون فيها. أشار ج. ا. هابنسترايت إلى حالة التمرد التي

كانت عليها القبائل المناوئة لسلطة الداي، والتي تتواجد بمنطقة الشرق، حيث كانت في عداء مستمر مع البايلك، حيث ذكر أنه ورفاقه كانوا يستعينون بفرسان مسلحين خشية الوقوع في يد هذه القبائل، التي كانت تقوم بالإغارة من حين إلى آخر على قبائل المخزن الموالية للسلطة، وأن خطوط التماس بينهما كثيرة ومتعددة، حيث يقول في هذا السياق : «... وهناك كلاب متحفزة تثير الانتباه لأي محاولة هجوم قد يقوم بها رجال القبائل الأخرى ، فضلا على أن هؤلاء العرب يمتلكون الحراب والأسلحة النارية لرد المهاجمين...[51] ».

أما بالنسبة لسياسة الحكام في تنصيب شيوخ القبائل، فقد عاين ج. ا. هابنسترايت واقعة تثبت ما كانت عليه الحالة السياسية لإيالة الجزائر في النصف الأول من القرن 18م، التي تميزت بظاهرة شراء المناصب والولاءات، التي تفشت في كل ربوع السلطنة العثمانية، وما إيالة الجزائر باستثناء عن ذلك، فيقول في هذا الباب : «... وكان الباي قد ألحق منذ وقت قريب بأحد شيوخ القبائل المجاورين وحرمه من مكانته لدى قبيلته وأسندها إلى شيخ آخر مقابل مبلغ كبير من النقود ، وهذا ما دفع الشيخ المعزول الذي يعرف لدى رجال قبيلته ببوعزيز أو أبو الوطن [52] ، في سعيه من اجل رد الاعتبار لشخصه إلى الالتزام أمام الباي إن هو أثبته في منصبه ... أن يقدم كترضية مبلغ 30 ألف قرش بالإضافة إلى دفع ضريبة سنوية مقدارها 10 آلاف قرش ، فكان هذا العرض كافيا للباي لأن يغير رأيه ويتخلى عن منافس هذا الشيخ ...[53] ».

ذكر الرحالة ج. ا. هابنسترايت في معرض حديثه عن علاقة الأهالي بحكامهم الأتراك، أنها كانت تخضع لاعتبارات متعددة بحسب الظروف التي تمر بها الإيالة عموما، وبايلك الشرق خصوصا، ووصف هذه العلاقة بالسيئة لما يُبديه البايات من قسوة وغلظة تجاه الأهالي بهدف إرعابهم وإجبارهم على دفع الضريبة المفروضة علي البايات[54] من قبل حاكم الجزائر، حيث يقول : « وهؤلاء البايات في تحركاتهم مع مجموعة الجند (المحلة) عبر مقاطعاتهم يبدون قسوة بالغة للتمكن من الحصول على مقدار الضريبة المفروضة عليهم من قبل حكام الجزائر[55].»، كما يطنب في وصف الكيفية التي يجبر بها السكان على دفع الضرائب، وعدم تمكنهم من رفضها، أو رفع مظلمة إلى حكومة الجزائر بسبب سياسة القمع والعنف، التي كان الأتراك يمارسونها ضد السكان الجزائريين فيقول : « وهذه الطريقة في استخلاص الضرائب لا يمكن لأي شخص أن يتجنبها أو يتهرب منها مادام ليس

في مقدوره ان يشتكي من الوسائل العنيفة التي يمارسها هؤلاء البايات في حقهم، وكل من يريد الذهاب الى الجزائر لرفع شكوى، يعرف جيدا أن في ذلك مخاطرة كبيرة ولا يمكنه أن يجد من ينصفه في شكواه مادام الأتراك كلهم يرغبون في تولي المناصب ذات الدخل المالي الوفير[56]. »، كما يسترسل الرحالة واصفا مدى احتقار الحكام للأهالي الجزائريين، ويعرض لنا حادثة تدل على مقدار تسلط الأتراك وجبروتهم، وفرض أعرافهم وسطوتهم عنوة بالقوة، وهذا سرد لتلك الحادثة على لسانه : « وعندما علم الباي بالحادثة التي تعرضنا لها أعطى أوامره للبحث عن متزعم تلك المجموعة ولكن هذا الأخير تمكن من الهرب ن فطمأننا بأنه سوف يعاقب شخصا آخر مكانه ليكون عبرة وحتى يتعلم هؤلاء الناس أصول الضيافة التي يلتزم بها الأتراك بكل متطلباتها ومقتضياتها[57]. ».

2 – حب الجزائريين لوطنهم والذود عنه :

أنصف ج. ا. هابنسترايت الجزائريين حينما ذكر مدى تفانيهم في الدفاع عن وطنهم ضد الأسبان، وغيرهم من الأعداء حيث يقول : « ... إن الجزائريين لا تنقصهم الرغبة في الدفاع وانَّ لهم الإمكانات ما يجعلهم يقاومون مقاومة شديدة ، ولذا علينا ان ننصف هذا الشعب وخاصة الحامية التركية ، فنتعرف بأنهم يستميتون من اجل الدفاع عن أنفسهم ... »[58] .

خامسا - وصف مدينة قسنطينة :

افرد الرحالة ج. ا. هابنسترايت جزءا من إحدى رسائله إلى ملكه حول مدينة قسنطينة، كونها عاصمة بايلك الشرق ولِما تتميز به هذه الحاضرة من آثار تاريخية كانت محطَّ اهتمامه وإعجابه، حيث ذكر أنه عثر على قطع نقدية نادرة تعود للفترة الرومانية رُسِم عليها اسم الإمبراطور قسطنطين [59] مؤسس المدينة، كما أنه لاحظ وجود آثار من ذات الفترة تؤرخ إلى النظام السياسي آنذاك، والمعروف بالنظام القنصلي والمتميز بالسلطة الثلاثية، غير أنه أبدى استياءه من استعمال السكان المحليين لكثير من الحجارة المنحوتة لتحصين منازلهم المتواضعة على حد وصفه[60]. ومن بين الآثار التي شدت انتباهه القنطرة الرومانية الجميلة التي ذكر أنها نجت من التخريب، التي بناها الرومان من أجل إيصال الماء إلى قسنطينة التي بنيت على صخرة قبالة جبل عال[61].

سادسا : حقائق علمية وتاريخية أوردها الرحالة :

خلال سرد الرحالة ج. ا. هابنسترايت لمذكرته اليومية في إيالة الجزائر أمكن لنا أن نستشف بعض الحقائق العلمية حول الحياة الطبيعية والحضارات في الآيالة نذكر منها :

- ذكر في أثناء طريقه إلى قسنطينة أنه وجد إحدى الحصون من العهد الروماني، وقد تميزت بنقوش باللغة اللاتينية مكتوبة بحروف جميلة جدا بقيت على حالتها الأولى، مما يدل على نفي صفة التخريب لآثار الرومان، التي طالما وسم بها المؤرخون الأوربيون الجزائريين، وذكر من بينها أيضا طريق تونس قسنطينة الروماني، الذي وجده في حالة لا بأس بها، حيث كان يتميز بدقة الإنجاز والذي استعملت فيها الحجارة الصلبة، وأضاف في هذا المنوال أنه وقف على بقايا أنقاض مدينة كبيرة جدا، حيث تمَلَّكه إعجاب يصعب وصفه للحالة الجيدة التي وجد عليها أطلال تلك المدينة، وهي مدينة خميسة في ولاية سوق هراس حاليا، التي تقع على بعد 14 كلم إلى الشمال الشرقي من مدينة سدراتة[62].

- ذكر الرحالة أنه وخلال تواجده في بايلك التيطري رفقة المحلة أبلغ السكان الآغا بأن هناك اسودا بالناحية تفترس الخرفان وأنه وإن لم يشاهدها رؤيا العين غير أنه استدل على صدق رواية الأهالي بكون اللبؤة التي أهديت له أثناء إقامته في مدينة الجزائر تم الإمساك بها في هذه المنطقة[63]. وهذا يؤكد تواجد الأسود في منطقة الأطلس التلي.

- وجود حيوان الحيرم أو بقر الوحش (bubade)، الذي وصفه الرحالة بأنه يشبه الأيل، غير أن له قرون غزال ويصل حجمه عند اكتمال نموه الى حجم بقرة، وهو يعيش في سفوح الأطلس الصحراوي عل حد وصفه، ولا يمكن القبض عليه إلا عندما يكون صغيرا[64]، وعند تقصينا لهذا النوع من الحيوانات توصلنا إلى أنه انقرض ولم يبق له أثر بسبب قلة تكاثره و الرغبة في صيده خاصة في الفترة الاستعمارية.

- حسب رواية الرحالة ج. ا. هابنسترايت عند سفره من مدينة الجزائر إلى عنابة في الفترة مابين 6 إلى 12 جوان 1732 م ، شاهد الدلافين واسماك أبو سيف و اسماك التونة، وهذا ما يثبت وجود حوت الدلفين في مياه البحر المتوسط[65] في تلك الفترة، قبل أن تختفي نهائيا في أوقات لاحقة ولكون الرحالة طبيبا فإنه قطعا يكتب ما هو متيقن منه، خاصة وأنه على إلمام كبير بالحياة النباتية والحيوانية.

سابعا : نموذج عن العلاقات الحسنة بين إيالتي الجزائروطرابلس :

وضع ج. ا. هابنسترايت مضمون الرسالة التي زوده بها باشا الجزائر إلى حاكم طرابلس آنذاك، وهو احمد بن يوسف بن محمد القرامانلي [66]، وهذا نصها : « الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه، السلام عليكم وعلى أهلكم وحكومتكم ووطد الله حكمكم أخونا وسيدنا باشا طرابلس ابن السيد يوسف السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، تلازم رفيع مقامكم بكرة وعشية، فالمعروض على سمعكم الشريف وفهمكم اللطيف، أن هذا المسيحي السيد الأرفع ومرافقيه قدموا إلى بلاد الجزائر للبحث عن النباتات ومن أجل إيجاد أدوية جديدة، وقد بقوا بضعة أيام في بلادنا وطلبوا مني كتابة خطاب لكم في شانهم، فالرجاء أن تشملوا حامله بحمايتكم هو ومرافقوه[67] حتى يتمكنوا من أداء مهمتهم، هذا وإن احتجت شيئا منا فنحن في خدمتكم، كتب هذا الخطاب في 15 شهر ذي الحجة من العام 1144 الهجري[68]. »، ومن خلال التفحص في كلمات هذه الرسالة الرسمية يمكننا أن نلاحظ بعض الإشارات التي توحي بطبيعة العلاقة بين حكام الأيالات العثمانية بشمال إفريقيا، ومستوى التعاون فيما بينها :

- كانت العلاقة طيبة وحسنة، وذلك ما نستدل عليه من العبارات اللطيفة، التي زين بها باشا الجزائر رسالته إلى حاكم طرابلس على غرار : أخونا وسيدنا، رفيع مقامكم، سمعكم الشريف، فهمكم اللطيف، فنحن في خدمتكم.

- التعاون بين باشوات الدولة العثمانية في المهام المتعددة على غرار الاهتمام بالشخصيات التي يرسلها احدهم إلى الآخر، ويتجلى ذلك في آخر الرسالة حينما قال باشا الجزائر لباشا ليبيا : « وإن احتجت شيئا منا فنحن في خدمتكم. ».

الخاتمة :

إن رحلة العالم الألماني هابنسترايت إلى الجزائر تشكل مصدرا أساسيا لا غنى عنه في دراسة التاريخ الحديث للجزائر ، وذلك يعود إلى شمولية المواضيع التي تتطرق إليها ونقل من خلالها ملاحظاته حول السلطة والأهالي والجغرافيا والآثار والنباتات وطبائع السكان وعاداتهم وتقاليدهم ، إضافة إلى الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية للجزائر ، والسمة البارزة لهذه المذكرات هي الرغبة الكبيرة من طرف الرحالة في التعرف على أوضاع أيالة الجزائر واكتشاف طبائع السكان وتعاملهم مع الأوربيين و ظروف معيشتهم ، التي

نقلها بانتهاج قدر كبير من الموضوعية كما أشار إلى ذلك مترجم الرحلة الأستاذ ناصر الدين سعيدوني ، وهذا يتجلى في تفنيده للأحكام المغرضة التي أطلقها الأوربيون قبله على الجزائر وسكانها ، ومن الملاحظات الجديرة بالتصويب هي أن الرحالة ج. ا. هابنسترايت أشار في غير ما موضع إلى تسمية البلاد الجزائرية بموريطانيا، هذا التباس وقع فيه بسبب اطلاعه على الكتابات الأوربية التي تمجد دائما الفترة التي سبقت دخول الإسلام إلى بلاد المغرب، فالمعروف تاريخيا أن موريطانيا القيصرية كانت في الفترة من القرن الثاني قبل الميلاد، التي امتدت ممتلكاتها من نهر ملوية بالمغرب شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، وأن بلاد الجزائر في فترة رحلته كانت قد اكتسبت اسمها الحالي المشتق من جزائر بني مزغنة، الذي أورده بنفسه في عدة مواضع من رحلته، لكونه عالم أحياء وطبيب يلتبس عليه الأمر في التسميات التاريخية.وتعتبر هذه المذكرات كتتمة لكتابات كرباخال و هايدو ولوجي دو تاسي حول الجزائر والتي ترجم بعضها إلى العربية لتشكل لبنة أساسية في تاريخ الجزائر الحديث في العهد العثماني .

الهوامش :

1 - أغسطس الثاني القوي : ولد في 12 ماي 1670 في " درسدن " بألمانيا كان أمير سكسوني المؤهل لاختيار رأس الإمبراطورية الرومانية المقدسة ونائب الإمبراطور وأصبح ملك بولندا ودوق ليتوانيا الأعظم ، تسببت قوته الجسدية المفرطة في تلقيبه ببعض ألقاب القوة مثل: « القوي و« هرقل ساكسونيا و« اليد الحديدية، توفي يوم 1 فبراير 1733 في وارسو بولونيا. - ينظر : Jean bérenger (1670 - 1733) Sur le site Universalis.fr sur Auguste II Le lien https://www.universalis.fr/encyclopedie/auguste-ii

2 - هو كاهن ورحالة انجليزي ولد سنة 1692 درس الكهنوت واهتم بالعلوم والطبيعة والرحلات ولقب بالدكتور مع انه لم يدرس الطب قام برحلة إلى شمال إفريقيا وكتب مذكراته في كتاب بعنوان «رحلة في أيالة الجزائر سنة 1765 ، انظر :

J , Watkins , **The universal biographical dictionary , published by normand white** , Richmond vir , united kingdom , 1825 , p 370 .

3 - حرب السنوات السبع بين عامي (1756 و1763) اشتركت فيها معظم الدول الأوربية بين بروسيا بقيادة الملك فردريك، ومعه بريطانيا ودولة هانوفر، في موجهة فرنسا والنمسا وروسيا والسويد، ودخلت إسبانيا والبرتغال الحرب لاحقاً. كانت ألمانيا يومها غير موحدة، وتركت الحرب أكثر من مليون قتيل على الساحة

الأوربية، وخسرت فرنسا الأرض الأميركية. - ينظر : خالص جلبي، " حرب السنوات السبع "، مقال إلكتروني، الموقع الإلكتروني www.alarabiya.net/ar/politics/2018/01/13، بتاريخ 13 جانفي 2018.

4 - ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص 15

5- MM. Eyriés, **Nouvelles annals des voyages sciences géographiques**, tome second de l'année, 1830 .

6 - ولد سنة 1940 بأم البواقي عمل أستاذا بقسم التاريخ بجامعة الجزائر ويحمل عدة شهادات في التاريخ والجغرافيا منها دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر سنة 1974 كما حصل سنة 1988 على شهادة دكتوراه دولة في الآداب والعلوم الإنسانية من جامعة إكس أون بروفنس (فرنسا) ، درس بجامعة الكويت من 2001 إلى 2011 وترأس قبلها المجلس العلمي لكلية العلوم الإنسانية بجامعة الجزائر، وقد نشر 32 كتابا والعديد من الدراسات والبحوث على غرار كتب دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، والجزائر في التاريخ ... – ينظر : الأستاذ ناصر الدين سعيدوني موقع wikidz على الرابط التالي : https://wikidz.org/ar

[7] - ناصر الدين سعيدوني، **رحلة العالم الألماني : ج .أو.هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس**، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008، ص ص 24-27

8 - دار السلطان : هي بايلك مدينة الجزائر وما حولها وتمتد من دلس شرقا إلى شرشال غربا ومن ساحل البحر شمالا إلى سفوح الأطلس البليدي جنوبا ، وتنقسم إلى أوطان يحكمها قادة تحت إشراف الآغا. - ينظر : احمد السليماني، **النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني**، مطبعة دحلب، الجزائر، 1994، ص 37.

9 - بايلك التيطري، يعد اصغر البايلكات وأفقرها وأكثرها ارتباطا بالسلطة المركزية، يحده شمالا دار السلطان وجنوبا الصحراء الكبرى ومن الشرق منطقة الزاب وغربا معسكر وعاصمته مدينة المدية.- ينظر : عائشة غطاس وأخريات، **الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها**، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 177.

10 - هي البويرة حاليا.

[11] - ناصر ا لدين سعيدوني، المصدر السابق ، ص ص 59 - 70 .

[12] - نفسه ، ص ص 80 - 98 .

13 - نفسه ، ص 57 .

14 - ، نفسه ، ص57 .

15 - فوزية لزغم، " الأطباء الأوربيون بالجزائر خلال العهد العثماني "، **مجلة الدراسات التاريخية**، العدد 15 - 16، جامعة الجزائر 2، 2012، 2013، الجزائر، ص 165.

16 - شيخ المعزولة : هو علي باي ابن الشيخ عبد الله تولى منصب شيخ منطقة المعزولة سنة 1785 إلى غاية عزله منه سنة 1793 م. - ينظر فوزية لزغم، نفس المرجع، ص 176.

17 - الباستيون : هو حصن تجاري أقامته فرنسا بالقرب من مدينة عنابة بعد حصولها على امتياز صيد المرجان بسواحلها رغم معارضة السلطات الجزائرية التي لم تتقبل إقامة هذا الحصن وقيام فرنسا بالتجارة في القمح مع الأهالي عبره وقامت بتحطيمه ثلاث مرتين في 1604 و 1637.- ينظر: عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997، ص 77.

18 - فوزية لزغم، المرجع السابق، ص 165

19 - نفسه، ص 166.

20 -الفرانكا : كانت لغة مشتركة للتواصل بين موانئ البحر الأبيض المتوسط العربية وقوامها الايطالية المجردة الممزوجة بالفرنسية والاسبانية واليونانية والعربية مع كلمات تركية. - ينظر : محمد عبد الرزاق الفلوجي، **معجم الفردوس**، ج1، مكتبة العبيكان للنشر، الكويت، 2012، ص 129.

21 - فوزية لزغم، المرجع السابق، ص 166.

22 - ناصر ا لدين سعيدوني، المصدر السابق ، ص 39

23 - نفسه ، ص 39

24 - نفسه، ص 64. .

25 - ضيفة المحلة : وهي تقديم الزاد والتكفل بضيافة فرق الجند وتعتبر من الواجبات التي يلزم بها سكان الريف ويحرص على القيام بها شيوخ القبائل عندما تحط المحلة رحالها عندهم ، أنظر : ناصر الدين سعيدوني، **دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2001، ص ص 342، 343.

26 - توجد خزينة الجزائر الواقعة أسفل المدينة في إحدى الغرف الملحقة بقصر الجنينة، وكانت تضم كميات كبيرة من الأموال والنفائس، بعضها في شكل قطع نقدية وبعضها الآخر عبارة عن مقتنيات نادرة وأشياء ثمينة. تم نقلها إلى أعلى المدينة بحصون القصبة بأمر من الداي علي خوجة سنة 1817م، وقدر الفرنسيون قيمتها عند استيلائهم عليها سنة 1830م بـ : 684.527. 48 فرنك . – ينظر : ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر في العهد العثماني**، ص ص 169 – 187.

27 - هايدو : دييقو دوفراي هايدو(1527- 1608) كان أسيرا في الجزائر ألف كتابا عن تاريخ الجزائر باللغة الاسبانية سنة 1608م بعنوان : **الطبوغرافيا والتاريخ العام للجزائر**، يتألف من 5 محاور. - ينظر : أحميدة اعميراوي، **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003، ص 13.

28 - بايسونال ، جان أندري (1694 – 1759م) زار الجزائر بتكليف من أكاديمية العلوم الفرنسية سنتي 1724، 1725م، وقدم عملا هاما عن الجزائر تضمن معلومات جغرافية وطبيعية واجتماعية قيمة. - ينظر : أحميدة اعميراوي، المرجع السابق، ص 11.

29 - ناصر الدين سعيدوني ، المصدر السابق، ص 44.

30 - نفسه ، ص 42.

31 - نفسه، ص 46.

32 - نفسه، ص 47.

33 - نفسه، ص 49.

34 - نفسه، ص 80.

35 - نفسه، ص 46 .

36 - نفسه، ص 46.

37 - نفسه، ص 56. (أوردنا هذه الملاحظات التي ذكرها الرحالة التزاما بالأمانة العلمية والتاريخية)

38 - نفسه، ص 46 .

39- نفسه، ص 57.

40 - نفسه، ص 83.

41 - نفسه، ص 91.

42 - يقصد بهذا الحصار الحملة الاسبانية التي انطلقت يوم 15 جوان 1732م نحو الجزائر بقيادة الدوق" مونتيمار "، التي نزلت بعيون الترك يوم 28 جوان وواجهتها القوات الجزائرية بمقاومة شديدة يوم 30 جوان 1732م، وانتهت المواجهة بتسليم مدينتي عيون الترك ووهران قبل أن يصل المدد الذي أرسله الداي بابا عبدي والمكون من 2000 جنديا تحت قيادة ابنه الآغا. وعم البلاد على اثر هذه النازلة موجة كبيرة من الحزن والهم. - ينظر أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492 – 1792م**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968، ص ص 479، 480.

43 - ناصر الدين سعيدوني ، المصدر السابق، ص81.

44 - نفسه، ، ص 60.

45 - نفسه، ص78.

46 - نفسه، ص80 .

47 - نفسه، ص59 .

48 - نفسه، ص60 .

49 - نفسه، ص60 .

50 - نفسه، ص 83 .

51 - نفسه، ص 83 .

52 - هو بوعزيز بن ناصر زعيم قبيلة الحنانشة التي تتواجد شرق الجزائر، وقد تخلى عن دعم الأتراك وأيد حسن بن علي باشا حاكم تونس بعد أن وقع خلاف بينه وبين الداي الحاج مصطفى سنة 1705م. - ينظر: صالح عباد، **الجزائر خلال الحكم التركي**، دار الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2012، ص 233.

53 - ناصر الدين سعيدوني ، المصدر السابق، ص 85.

54 - يقصد بالضريبة ما يسمى الدنوش الصغرى التي كان البايات يستخلصونها جبرا من الأهالي ويأخذنها خلفاؤهم إلى الداي مرتين في السنة في فصلي الخريف والربيع، بينما الدنوش الكبرى يأخذها البايات بأنفسهم إلى الداي مرة كل ثلاث سنوات. – ينظر : حنيفي هلايلي، **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص 149.

55 - ناصر الدين سعيدوني ، المصدر السابق ، ص 84.

56 - نفسه، ص 84.

57 - نفسه، ص 91.

58 - نفسه، ص 91.

59 - الإمبراطور قسطنطين الروماني (272 - 337 م) أعاد بناء مدينة قسنطينة سنة 311 م وسميت بذلك نسبة له ، ناصر المسيحية وعمل على نشرها في بلاد المغرب وحارب المذهب الدوناتي. – ينظر : مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 301.

60 - ناصر الدين سعيدوني ، المصدر السابق ، ص 89.

61 - نفسه، ص 90.

62 - نفسه، ص 87

63 - نفسه، ص 63

64 - نفسه، ص 64

65 - نفسه، ص 80

66 - احمد بن يوسف بن محمد القرامانلي : (1686 – 1745) كان ضابطا في صفوف قوات الانكشارية، ثم أصبح دايا وباشا لليبيا سنة 1711م، واستمر في الحكم إلى غاية 1745م، وترك الحكم وراثيا في بنيه. وهو بذلك مؤسس حكم الأسرة القرامانلية في ليبيا ما بين 1711 – 1835م .- ينظر : مفيد الزيدي، **موسوعة تاريخ العرب المعاصروالحديث**، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2012، ص 200.

67 - الأصح أن تكتب – مرافقيه - لكونها وقعت في محل عطف على المفعول به المنصوب

68 - ناصر الدين سعيدوني ، المصدر السابق ، ص78 .

قائمة المصادروالمراجع :

أ – العربية :

1 - اعميراوي أحميدة، **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني**، دار الهدى ، عين مليلة، الجزائر، 2003.

2 - بوحوش عمار، **التاريخ السياسي للجزائرمن البداية ولغاية 1962**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، بيروت، لبنان، 1997.

3 - الزيدي مفيد، **موسوعة تاريخ العرب المعاصر والحديث**، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2012.

4 - السليماني احمد، **النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني**، مطبعة دحلب، الجزائر، 1994.

5 - المدني أحمد توفيق، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائرواسبانيا 1492 – 1792م**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968.

6 - الميلي مبارك، **تاريخ الجزائرفي القديم والحديث**، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

7 - ناصر الدين سعيدوني، **رحلة العالم الألماني : ج .أو.هابنسترايت إلى الجزائروتونس وطرابلس**، نكمل معلوماته كاملة.

8 - ـــــ، ـــــ: **دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2001.

9 - ـــــ، ـــــ: **النظام المالي للجزائرأواخر العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

10 - الفلوجي محمد عبد الرزاق، **معجم الفردوس**، ج1، مكتبة العبيكان للنشر، الكويت، 2012.

11 - عباد صالح، **الجزائرخلال الحكم التركي**، دار الألمعية للنشر والتوزيع ، قسنطينة ، الجزائر ، 2012 .

12 - غطاس عائشة وأخريات، **الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها**، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.

13 - هلايلي حنيفي، **أوراق في تاريخ الجزائرفي العهد العثماني**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008.

ب – المقالات المطبوعة :

1 – لزغم فوزية، " الأطباء الأوربيون بالجزائر خلال العهد التركي "، **مجلة الدراسات التاريخية**، العدد 15 - 16، جامعة الجزائر 2، 2012 ، 2013 الجزائر .

ج- المقالات الالكترونية :

1 - جلبي خالص، " حرب السنوات السبع "، **مقال إلكتروني**، موقع العربية نت ، 13 جانفي 2018 ، الرابط : www.alarabiya.net/ar/politics/2018/01/13 .

، بتاريخ : 2018/5/6 على الرابط التالي : wikidz 2 – ناصر الدين سعيدوني ، موقع : https://wikidz.org/ar/%D9%86%D8%A7%D8%B5%D8%B1

Jean bérenger, Auguste II, (1670 – 1733), sur le site :Universalis.fr,sur

Le lien https://www.universalis.fr/encyclopedie/auguste-ii

د - المصادروالمراجع باللغات الأجنبية :

1- J , Watkins , The universal biographical dictionary , published by normand white , Richmond vir , united kingdom , 1825 .

2- MM Eyriés , Nouvelles annales des voyages sciences géographiques , tome second de l'année, 1830 .